حريق القاهرة

- لماذا أقام فاروق وليمة مفاجئة لضباط الجيش والبوليس ؟
- فؤاد سراج الدين انتظر ثلاث ساعات فى قصر عابدين قبل أن يسمحوا له بإنزال قوات الجيش .
- لماذا أعطى الجيش الأولوية لانقاذ الأوبرج ؟
- الملك يصدر مرسوما بإقالة وزارة النحاس باشا .
- لغز اتهام البوليس السياسى الحزب الاشتراكى بأنه وراء الحادث .

obeikandl.com

obeikandl.com

فى مساء يوم الجمعة ٢٥ يناير ١٩٥٢ أذاعت وزارة الداخلية المصرية بياناً أعلنت فيه أن القوات البريطانية قامت بعدوان على رجال البوليس فى منطقة القناة أسفر عن مقتل ٥٠ من جنود بلوكات النظام وإصابة ثمانين وأسر ما يقرب من ألف جندى وضابط.

وبالطبع فإن هذا البيان أثار ردود فعله العنيفة فى نفوس جميع المواطنين عامة ورجال البوليس وبلوكات النظام خاصة.

وجاء أول رد فعل فى الساعة الثانية من صباح السبت ٢٦ يناير ١٩٥٢ عندما أعلن عمال مطار فاروق (كما كان اسمه قديما) والجنود الموجودون فيه العصيان.

فاحاطوا بأربع طائرات تابعة لشركة الخطوط البريطانية إعلانا عن احتجاجهم على ما حدث فى الإسماعيلية. ومنعوا نزول الركاب – ويفوق عددهم المائة – ومنعوا تزويد الطائرات بالوقود وبعد محاولات مستمرة أمكن إنهاء العصيان وأقلعت الطائرات.

ولكن .. قبل أن تشرق الشمس فى صباح هذا اليوم السبت السادس والعشرين من يناير ١٩٥٢ وفى حوالى السادسة صباحا كان تمرد آخر يحدث فى معسكرات جنود بلوكات النظام الموجودة فى العباسية.

كانت هذه المعسكرات تضم جنود الأقاليم، وقد خرجوا يحملون أسلحتهم متجهين من العباسية إلى الأزهر وكان منظر المظاهرة وهى تضم عساكر البوليس منظرا بالغ الإثارة بلا شك خصوصا لطلبة مدارس العباسية الذين سرعان ما انضموا إليهم.

ومن العباسية إلى الأزهر ثم إلى ميدان محمد على حيث انضم إليهم بعض عساكر الجيش فإلى ميدان الإسماعيلية (التحرير حاليا) ثم إلى جامعة فؤاد (جامعة القاهرة الآن).

وهناك اختلط البوليس مع الطلبة وأخذوا يطلقون النار فى الهواء.

وبالطبع تناقل الشعب خبر هذه المظاهرة التى طافت معظم شوارع وميادين القاهرة فأحدثت آثارها فى مناطق أخرى .. وسمع بذلك عمال العنابر والسكك الحديدية فنظموا هم الآخرون مظاهرة اندمجت مع الطلبة وعساكر البوليس وقرروا التوجه إلى مجلس الوزراء.

وهناك خرج إليهم عبد الفتاح حسن وزير الشئون الاجتماعية ووقف فى الشرفة وخطب فيهم محاولا تهدئتهم إلا أنهم صرخوا فى وجهه وهتفوا بسقوطه.

وكانت المفاجأة ظهور أحد ضباط الجيش واسمه محمد عبد الخالق وقد حمله المتظاهرون على الأعناق.. وبأعلى صوت صاح هذا الضابط فى عبد الفتاح حسن: أيها الوزير.. الجيش للحرب.. لماذا لم ترسلونا إلى القتال دفاعا عن إخواننا جنود البوليس؟

.. وبدأ حريق القاهرة

زادت حماسة المتظاهرين، وحاول عبد الفتاح حسن تهدئتهم فأخذ يهتف بسقوط الإنجليز والاستعمار.

واستطاعت هتافات عبد الفتاح حسن إلى حد ما أن تستقطب انفعالات المتظاهرين وتوجهها إلى الاستعمار والإنجليز بعد أن بدا أنها ستوجه إلى الحكومة.

ولكن ما هى إلا دقائق حتى تحول الموقف من مظاهرات ساخطة، إلى جماهير حارقة.. فبطريقة ما اندست عناصر الشغب والتدمير حاملة قنابل حارقة ومعاول..

وكانت البداية فى كازينو أوبرا (وكان يسمى بديعة) وقد سجلت سجلات الإطفاء أن الحريق فيه بدأ فى الساعة الثانية عشرة ظهرا.

وبعد ٧٥ دقيقة فى حوالى الواحدة والربع كان الحريق الثانى فى سينما ريفولى .. وفى الواحدة والنصف تم إحراق وإتلاف سينما مترو ومطعم اكسلسيور وتوكيل سيارات شركة فورد – وكانت كلها تقع فى مبنى سينما مترو – ومن السينما انتقلت عمليات الإحراق إلى نادى الترف (الترف كلوب) الموجود فى شارع عدلى، ثم إلى سينما ديانا فمطعم الكورسال.

وفى الساعة الثالثة والنصف مساء تم إحراق واتلاف ونهب بنك باركليز الذى كان موجودا قرب ميدان الأوبرا، فشركات سيارات كايرو موتورز، وكويزلر، ثم سينما مترو بول فمحلات شيكوريل وجروبى..

ومن هناك امتدت يد الإحراق إلى فندق شبرد الذى كان موجودا على ناصية شارع الألفى مع شارع إبراهيم باشا (الجمهورية حاليا). وكانت هذه الحرائق مفاجئة ورهيبة إلى درجة أن نزلاء الفندق كانوا يلقون بأنفسهم من الطوابق العليا والنار مشتعلة فيهم.

أين كانت وزارة الداخلية خلال ذلك كله ؟

أين كان المسئولون عن أمن مصر ؟

فـى ضوء التقارير التى عرفتها فور أن توليت وزارة الداخلية بعد سـاعات قليلة من هذا اليوم الأسـود فى تاريخ مصر عرفت أن إدارة الأمن العام اتصلت بوزير الداخلية فؤاد باشـا سـراج الدين فى منزله فى السـابعة والنصف صباحا تخبره عن قيام مظاهرات ومعها جنود بلوك النظام.

وحسـبما عرفت فإن وزير الداخليـة طلب من مدير الأمن العـام أن يقوم الجنود بتفريق المظاهـرات. وكان خطـأ مدير الأمن – وهو ما يجب أن أسـجله – هو أنـه لم يقل للوزير أن الجنود المطلوب منهم تفريق المظاهرات هم أنفسهم متمردون ويقودون هذه المظاهرات.

وهكذا.. مضت الساعات فى عملية شحن مستمرة لمشاعر الشارع المصرى إلى أن جاء الظهر ودق جرس المطافىء معلنا عن تلقيه أول إبلاغ عن أول حريق أندلع فى هذا اليوم..

الوزير يطلب الجيش !

فى الساعة الثانية عشرة والنصف اتصل وزير الداخلية بقائد القوات المسلحة الفريق محمد حيدر طالبا إليه نزول القوات المسلحة للسيطرة على الموقف بعد أن تبين للوزير أن قواته من البوليس غير قادرة على السيطرة على الموقف، بل أن معظمها مشارك فى المظاهرات.

وكان رد قائد الجيش على وزير الداخلية أنه لابد من عرض الأمر على الملك وحصوله من جلالته على أمر بذلك.

وبعد نصف سـاعة – فى حوالى الواحـدة – عاود وزير الداخليـة الاتصال بقائد الجيش ليبلغه عدوله عن طلب نزول الجيش لأنه اطمأن إلى أن قوات البوليس تسيطر على الموقف.

ولما لم يجد وزير الداخلية قائد الجيش فى مكتبه فإنه اتصل برئيس الديوان الملكى حافظ باشا عفيفى وأبلغه رأيه بالاستغناء عن نزول الجيش.

ولكن .. بعد نحو ربع ساعة فقط – فى حوالى الواحدة والربع ظهرا – عاد وزير الداخلية يطلب نزول الجيش لأن المتظاهرين أشـعلوا النار فى سينما ريفولى وسينما مترو بينما رجال البوليس لا يقاومون الذين يشعلون النيران!

وبحث وزير الداخلية طويلا عن الفريق حيدر حتى وجده..

كان حيـدر فى ذلك الوقت جالسـا إلى جانب الملك فاروق فى المأدبـة الحافلة التى أقامها الملك فى ذلك اليوم بدون أية مناسبة ودعا إليها قائد الجيش وكبار الضباط والمسئولين عن أمن القاهـرة .. وهـم الذين كان مفروضا أن يكونوا فى هذا اليوم فـى مواقع عملهم لإنقاذ القاهرة ومصر كلها من الكارثة التى تعرضت لها.

لكنهم جميعا «بربطة المعلم» كانوا جالسين على مأدبة فاروق، والقاهرة تحترق..

ولعله مشهد تكرر فيما بعد فى ظروف أخرى مختلفة فى يوم الاثنين ٥ يونيو عندما استقل المشير عبد الحكيم عامر طائرته العسكرية فى صباح ذلك اليوم ومعه كبار قادة الجيش متوجها من القاهرة إلى سيناء..

وبسبب وجود طائرة المشير فى الجو صدرت الأوامر إلى بطاريات الصواريخ بالامتناع عن إطلاق النيران خوفا على حياة المشير.. فى الوقت الذى كانت فيه الطائرات الإسرائيلية تهاجم المطارات المصرية وتجهض فى خلال دقائق معدودة قوة الطيران المصرية وتدفع مصر إلى كارثة الهزيمة!

وفى يوم ٢٥ يناير ١٩٥٢ – وكان يوم جمعة – وجه الملك فاروق دعوة عاجلة إلى قائد الجيش وكبار ضباطه، وجميع ضباط حامية القاهرة، وكبار ضباط البوليس فى العاصمة لحضور مأدبة غداء فى قصر عابدين حددت لها الساعة الواحدة والربع بعد ظهر يوم السبت ٢٦ يناير!

وكان غريباً أن وزير الحربية فى ذلك الوقت مصطفى نصرت، ووزير الداخلية فؤاد سراج الدين لم توجه إليها الدعوة لحضور هذه الوليمة التى أقيمت لضباط الجيش والبوليس. وهى وليمة غريبة لا يحضرها الوزيران المسئولان عن المحتفى بهم!

ولم يكن ذلك أغرب ما فى هذه الوليمة التى لم تكن عادة فاروق أن يقيم مثلها ..

كانت هناك سلسلة من الغرائب التى تبلغ حد الألغاز أحاطت بها إلى درجة لا يمكن فصلها عن سيناريو الأحداث التى جرت فى هذا اليوم، بل لا أبالغ إذا قلت أنها كانت تبدو أنها جزء من هذا السيناريو.

ويستوقف النظر أولا أن هذه الوليمة الملكية تم تحديد موعدها بعد ٢٤ ساعة أو أقل من إرسال الدعوة إليها..

ويستوقف النظر ثانيا أن الدعوة لهذه الوليمة لم تكن عن طريق بطاقات مكتوبة أرسلت باليد أو البريد، بل أبلغت تليفونياً إلى قائد الجيش الذى أبلغها بدوره إلى قواد الوحدات الذين أبلغوها إلى الضباط .

والسؤال الأول: هل كان الشكل الذى اتخذته الدعوة إلى هذه الوليمة طبيعيا خصوصا أن الداعى هو ملك البلاد وأن عدد المدعوين كان كبيرًا جداً ؟

والسؤال الثانى: هل كانت مصادفة بحتة أن يدعى جميع ضباط حامية القاهرة إلى وليمة تحترق القاهرة فى اليوم المحدد لها ؟

ربما كان من الممكن القول أن ذلك جرى مصادفة لو أن الدعوة وجهت لها قبلها بعشرة أيام أو أسبوع على الأقل، أو أن يكون يوم ٢٦ يناير هو مناسبة من المناسبات التى تقام لها هذه الوليمة كأن يصادف عيد جلوس الملك أو عيد ميلاده أو عيد ميلاد ولى العهد.. لكن الحادث فعلا أن يوم ٢٦ يناير لم يكن يوافق أية مناسبة من المناسبات.

ويستوقف النظر غير ذلك أن هذه الوليمة اقتصرت الدعوة إليها على ضباط حامية القاهرة أما كبار ضباط حامية الإسكندرية أو القناة فلم توجه لهم الدعوة لحضورها!

ثم .. أليس من الغريب أن تشمل الدعوة إلى جانب كبار ضباط القاهرة، أيضا صغار ضباط حامية القاهرة، وهو ما لم تجر عليه العادة فى القصر الملكى؟

لماذا؟ وما سر هذه الوليمة الغريبة فى الظروف الغريبة التى تمت فيها؟

رسالة على الغداء

فى الساعة الواحدة والربع دخل جلالة الملك فاروق قاعة المأدبة المقامة بقصر عابدين وكان مرتديا ملابس المشير، ويبدو عابس الوجه.

وفور دخوله هب الضباط الذين أخذوا أماكنهم إلى المائدة الكبيرة واقفين وأدوا التحية العسكرية له فرد لهم التحية كأنه عسكرى متمرس.

وتوسط فاروق المائدة وإلى جانبيه الفريق حيدر باشا القائد العام للجيش، والفريق عثمان المهدى رئيس الأركان.

وما كاد الخدم يقدمون أطباق الطعام حتى دخل القاعة أحد موظفى القصر حاملاً ورقة مطوية اتجه بها إلى الفريق حيدر الذى فتحها وقرأها ثم مال نحو الملك يقول له إنها رسالة من وزير الداخلية يطلب نزول الجيش.

وبدون تفكير أجاب الملك: أجلها إلى ما بعد الغداء.

وانتهت الوليمة الغريبة التى أقيمت بلا أية مناسبة، وفى أغرب ظروف يمكن أن تواجهها مصر ..كانت الساعة الثانية والنصف عندما وقف الملك ودعا الضباط للاقتراب منه.. كان واضحا أنه سيقول لهم شيئاً هاماً. وبالفعل فإنهم بعد أن أصبحوا جميعا على مقربة منه فإنه وبطريقة خطابية قال لهم: أيها الضباط إن حوادث خطيرة تحدث فى البلد. ولا بد من اتخاذ إجراءات حاسمة، وأنا أعتمد فيما سأتخذه على ولائكم وثقتى فيكم: لأن الحالة الخطيرة التى تجتازها البلاد لا يمكن أن تستمر.

سراج الدين يذهب للملك

وأذن الملك للضباط بالانصراف فانصرفوا دون أن يقول لهم الملك أى شيء عن الحرائق التى كانت قد بدأت. أو يطلب إليهم التوجه إلى ثكناتهم لأنهم قد يستدعون للنزول بجنودهم إلى شوارع القاهرة. خرجوا جميعا من عند الملك وكأن شيئاً لا يجرى فى هذه المدينة التى تحمل تاريخا قديما يمتد ألف عام، وتعرضت فى هذا اليوم لمن يقذف وجهها بماء النار يشوه أجمل ما فيها..

أما وزير الداخلية فقد ظل فى مكتبه ينتظر اتصالا من القصر .. وفى الساعة الثانية والربع ومع توالى أخبار الحرائق التى اندلعت فإنه غادر مكتبه متجها إلى عابدين، وقد وصل إلى هناك فى الساعة الثانية والنصف فى الوقت الذى كان الملك على وشك إنهاء وليمة الغداء التى أقامها.

واستقبل حافظ عفيفى رئيس الديوان وزير الداخلية الذى شرح له خطورة الموقف وطلب إليه رفع الأمر فوراً إلى صاحب الجلالة.

وتشرف رئيس الديوان- وهذه هى العبارات التى كانت تستخدم فى ذلك الوقت - بمقابلة جلالة الملك وكان معه الفريق حيدر..

وبعد نحو ربع ساعة خرج حافظ عفيفى وحيدر واتجها إلى فؤاد سراج الدين وابلغاه أن الملك وافق وأمر بنزول الجيش.

فكيف نفذ الأمر؟ وماذا صنع الجيش؟

من قصر عابدين اتصل الفريق حيدر تليفونيا بمكتب الفريق عثمان المهدى رئيس أركان حرب الجيش، ولم يكن قد وصل إلى مكتبه بعد عقب خروجه من قصر عابدين حيث كان يحضر وليمة الملك.

وبعد دقائق تم اتصال آخر وكان عثمان المهدى هو الذى يرد ..

وطلب حيدر إلى رئيس أركان حرب الجيش النزول بأكبر عدد من القوات. وسأله عن الوقت الذى يراه كافياً لنزول القوات.

قال الفريق المهدى: إن تنفيذ الأمر يقتضى إعداد اللوريات والجنود واستدعاء الضباط الذين توجهوا إلى منازلهم بعد الوليمة الملكية، وهذا لا يمكن أن يستغرق أقل من ٤٥ دقيقة، وعلى هذا فإن القوات يمكن أن تكون جاهزة للنزول إلى المدينة بعد الثالثة والنصف.

قال حيدر، الأمر خطير ولابد من أن تستعجل التنفيذ: وعلى ما يبدو فإن وزير الداخلية قرر البقاء فى قصر عابدين فى مكتب رئيس الديوان مع الفريق حيدر حتى يطمئن على نزول القوات من الرجل المسئول عن كل الجيش وقائده العام.

ولكن فى الساعة الرابعة اتصل محافظ القاهرة بوزير الداخلية فى مكتب رئيس الديوان يبلغه أن الجيش لم يصل بعد إلى حديقة الأزبكية حيث كان المقرر أن تتجمع قواته هناك، ومنها توزع على أحياء القاهرة.

وطلب المحافظ إلى الوزير الإلحاح على قائد الجيش واستعجاله لإرسال الجيش.

وأبلغ فؤاد سراج الدين رسالة المحافظ إلى الفريق حيدر..

وبعد ربع ساعة أخرى تحدث المحافظ مرة أخرى والهلع يسيطر عليه من انتشار الحرائق والتخريب وطلب الاستنجاد بالوزير.

ومرة ثالثة عاد المحافظ واتصل بعد ربع ساعة وهو فى حالة انزعاج بالغ..

وفى أعقاب كل مكالمة كان فؤاد سراج الدين يستعجل حيدر لاستعجال الفريق مهدى.

وأخيرا وفى الساعة الخامسة مساء - قرب الغروب - وصل إلى حديقة الأزبكية ١٥٠ جنديا زادوا إلى ٢٥٠ فى الخامسة والنصف.

وبدأت القوات تغادر الحديقة إلى شوارع المدينة وفى السادسة والنصف اتصل المحافظ المسكين بوزير الداخلية يبلغه أن قوات الجيش التى تمت الاستعانة بها للسيطرة على الموقف نزلت المدينة ومرت فى الشوارع داخل عرباتها أمام المتظاهرين الذين كانوا يحطمون المحلات التجارية وأن هؤلاء المتظاهرين ما كادوا يلمحون عربات الجنود حتى راحوا يصفقون لها ويحيونها بالمعاول.. وقد أجاب عليهم الجنود بالابتسامات دون أن يحاولوا حتى إطلاق رصاصة واحدة ولو على سبيل التخويف.

مطلوب أمر كتابى !

كان غضب الوزير بالغاً فطلب إلى حيدر الاتصال بالمهدى لمعرفة أسباب تقاعس قواته عن أخذ موقف متشدد..

واتصل حيدر بالمهدى يسأله، وكان رد المهدى: إن قوات الجيش لا تستطيع إطلاق النار إلا بأمر كتابى.

وصرخ الوزير فزعا..

وعبثا حاول مع حيدر فغادر قصر عابدين إلى رئاسة مجلس الوزراء حيث كان المجلس منعقدا لمناقشة تطورات الموقف.

وفى التاسعة مساء وألسنة النار تضىء ليل القاهرة دق جرس التليفون. وكان المحافظ يطلب وزير الداخلية.

وهرع الوزير إلى التليفون عله يسمع خبرا يطمئنه ولكن يده تراخت على السماعة حين قال له المحافظ إن عدد القوات المسلحة التى نزلت لا يزيد على ٥٠٠ وإنها مازالت ممتنعة عن إطلاق النار على المخربين..

واستمرت الحرائق حتى الساعة الحادية عشرة ليلاً حين بدأ تدخل الجيش الفعلى بإطلاق النار.

الاوبرج .. لماذا انقذوه؟

ولكن من الغرائب أن المحل الوحيد الذى أسرع الجيش لإنقاذه كان كازينو الأوبرج فى شارع الأهرام .. وكان يملك هذا الكازينو فى ذلك الوقت أدمون صوصه وهو من حاشية الملك المقربة لكن المهم أنه كان أحد الأماكن المختارة التى تعود الملك أن يقضى فيها سهراته آخر الليل.

وقبل نزول الجيش فى الخامسة مساء كانت هناك عدة حرائق كثيرة قد اشتعلت..

لكن الأهم هو الحرائق التى اندلعت بعد نزول الجيش أيضا.

وهذه الحرائق تشمل كما أثبتت سجلات المطافئ فى ذلك الوقت:

١ – محلات أوررذى باك (عمر أفندى) فى شارع عبد العزيز وهى على بعد خمس دقائق من حديقة الأزبكية مركز تجمع قوات الجيش.

٢ – حريق عمارة الشواربى وهى على بعد ثلاث دقائق من حديقة الأزبكية.

٣ – حريق محلات شملا وهى على بعد دقيقتين.

٤ – حريق محلات بنزايون على بعد ثلاث دقائق.

٥ – حريق محلات شارع محمد على على بعد ثلاث دقائق.

٦– حريق نادى شل الرياضى على بعد ربع ساعة.

٧ – حريق كازينو الأوبرج فى شارع الهرم وقد وقع بين الساعة السادسة والنصف والثامنة والنصف مساء..

ولكـن من الغريب كما ذكـرت أن هذا الكازينو الذى يقع على بعد أكثر من نصف سـاعة من حديقـة الأزبكيـة تحركت إليه قوات الجيـش بمجرد الإبلاغ عن حريقـه فوصلت إليه فى السـاعة السـابعة والربع مع قوات الإطفـاء التى كانت قد أبلغت هـى الأخرى للتحرك فورا إليه!

منع التجول وتغيير الوزارة

فى مساء نفس اليوم – ٢٦ يناير – أعلنت الأحكام العرفية ..

وصدرت القرارات بمنع التجول ليلاً من حلول المساء حتى الفجر..

ونامت القاهرة ليلة حزينة..

وسـهر جنود الإطفاء يحاولون وقف سـريان النار الذى أتى علـى أكبر محلات العاصمة وانتشر فى معظم شوارع وسط المدينة..

وفـى صباح اليـوم التالى كانت المياه التـى صبتها خراطيم عربات الإطفـاء على الحرائق المشتعلة تملأ الشوارع..

وبدأ المشهد حزينا..

الأنقاض تسد الشوارع..

وكردونات البوليس تحيط بالأماكن التى أصبح المرور فيها مستحيلا..

كان إخلاء الشوارع من الأنقاض والآثار المدمرة يحتاج إلى عدة أيام.

الحريق فى أنفى

فى مساء الأحد ٢٧ يناير ١٩٥٢ أقال الملك فاروق حكومة مصطفى النحاس باشا آخر وزارة وفدية حكمت مصر، وكانت قد تولت الحكم فى أكتوبر ١٩٥٠، ولعلها من المرات القليلة التى استمرت فيها هذه المدة الطويلة.

عهد الملك فاروق إلى على ماهر تشكيل الوزارة.

وضمنى على ماهر إلى وزارته، وعينت وزيرا للداخلية.

وعندما وصلت من الإسـكندرية إلى القاهرة انسـابت إلى أنفى وعلى بعد عدة كيلو مترات رائحة الحرائق المروعة التى عاشتها القاهرة فى يوم من أسوأ أيام تاريخها.

وعلـى امتداد أيام طويلة ظلت هذه الرائحة تطاردنى وكأنها تسـتفزنى لمحاولة كشـف لغزها..

المسئولون عن الأمن لا يعرفون !

كان طبيعيا أن يكون أول عمل أقوم به عقب تولى وزارة الداخلية أن أعرف من الذى أحرق القاهرة ودبر لهذا الحريق.

وبعد أقل من ساعة من وصولى إلى مكتبى فى الوزارة يوم الاثنين ٢٨ يناير عقدت اجتماعا مع وكلاء الوزارة ومدير الأمن العام ومدير البوليس وحكمدار القاهرة ورئيس القسم السياسى فيها.

ولدهشـتى من المناقشـة التى دارت معهم لم أجد واحدا منهم يستطيع أن يعرف أو يحدد بالضبط من الذى أحرق القاهرة.

قلت: لا شك أن الذى قام بالحريق أكثر من فرد .. لا يمكن عقلا تصور أن فردا واحدا هو الذى قام بذلك، بل إن جماعة أو جماعات منظمة أعدت لذلك .. كما لا يمكن أن تكون أدوات الحرق وكسـر الخزائن والأبواب التى ضبطت أمام المتاجر والفنادق والبنوك كانت جاهزة فى لحظتها ! !..

قالوا: هذا شىء طبيعى.

قلت: معنى ذلك أنه كانت هناك استعدادات ! !.

قال أحدهم: لا شك.

قلت: ألم يكن عندكم علم من قبل بتلك الاستعدادات؟

كان الصمت هو الجواب الذى سمعته.

وبعـد لحظات تحدث حكمدار القاهـرة قائلا: الواقع أننا فوجئنا باشـتراك قوات بلوك النظام فى المظاهرات، وفقدنا عنصرا أساسيا لحفظ الأمن.

قلت: ألم يكن فى تقديركم أن يحدث ذلك؟!..

قال: والله أكذب على سعادتك لو قلت إننا فكرنا فى كده!.

قلت مذهولا وأنا أبدأ أول ساعة من الوزارة فى وزارة مهمتها الأمن ومعرفة كل ما يتعلق به: هل أخرج من هذا الاجتماع بنتيجة أنكم لا تعرفون من الذى أحرق القاهرة؟

إن خروجى بهذه النتيجة لن يكون أبدا فى مصلحة أى منكم، لأن معنى ذلك أنكم جميعا قصرتم فى أداء واجبكم وأنا لا أستطيع ان أطمئن إلى العمل مع المقصرين.

لقـد اطلعت قبل دقائق من اجتماعى معكم على تقاريـر طلبتها عن الحريق فهل تعرفون ماذا وجدت فى هذه التقارير؟

وكنت بالفعل قد طلبت هذه التقارير فور دخولى مكتبى بالوزارة، ولكن كانت دهشتى أن هذه التقارير لم تتجاوز دفتر أحوال إدارة المطافئ عن زمان كل حريق وقيام عربة المطافئ إليه.

وكان من بين ما قرأته فى هذه التقارير: فى الساعة الحادية عشرة ذهبنا إلى إطفاء حريق كازينو بديعة ولكن المتظاهرين منعونا من استخدام خراطيم المياه!

فى الساعة الثانية عشرة تم إبلاغنا بحريق فى فندق شبرد ذهبنا لإطفائه ولكن التظاهرين حطموا عربة الحريق!

قلت للمسئولين عن الأمن وأنا أقرأ لهم هذه التقارير: من هم هؤلاء المتظاهرون؟.. وهل قبضتم على واحد منهم؟ إننى أريد معرفة المحرضين والفاعلين لا مجهود رجال الإطفاء الذى عطله المتظاهرون..

قال الحكمدار: نحن فى سبيل التحقيق وقد قبضنا بالفعل على عدد من الذين اشتركوا فى الحريق.

قلت: كام واحد مسكتوهم؟

قال: حوالى العشرين يا أفندم.

قلت صارخا: معقول دى.. عشرين واحد كل اللى حرقوا البلد وعطلوا عربيات المطافئ؟

قال: سعادتك اطمئن .. التحقيق لا يزال فى بدايته وسنقدم تقريرا فقط، نرجو مهلة أسبوعا.

قلت: ولو أنه كتير لكن ما باليد حيلة..

اتهام أحمد حسين

ومضى الأسبوع ..

وجاءنى محمد ابراهيم إمام رئيس جهاز المباحث فى ذلك الوقت بتقرير يتهم الحزب الاشتراكى (وكان يسمى من قبل مصر الفتاة) ورئيسه المحامى أحمد حسين بأنه الذى أحرق القاهرة.

وقد أيد التقرير هذا الاتهام برسمين ذكر أنه تم العثور عليهما فى مقر الحزب ومرفقين بالتقرير، أحدهما لصور قنابل حارقة ومعاول لم أر مثيلا لها من قبل، والرسم الثانى عبارة عن رسوم هندسية لبعض أحياء القاهرة وقد ظهرت أسهم تشير إلى مواقع بعض الأبنية، وهى الأبنية التى ذكرت تحريات المباحث أنها احترقت.

وكان المعنى من الرسم أن أحد المهندسين فى الحزب الاشتراكى قام بإعداد «اسكتشى هندسى» لعدد من شوارع القاهرة محددة عليها الأماكن التى كان الحزب الاشتراكى يخطط لإحراقها وقد احترقت بالفعل.

أخذت أقلب الرسمين وبغير جهد كبير شعرت أن الافتعال فيهما واضح، فقد كانا مطبوعين بالزنكروغراف. ولما كنت أعرف خبيرا أجنبيا فى الزنكروغراف كنت أستعين به حين كنت مديرا للأمن العام فإننى استدعيته.

ولم يضيع الخبير وقتا طويلا قبل أن يؤكد لى أن هذا الرسم لا يمكن أن يكون رسمه خبير فى المبانى أو المفرقعات، وأنه يظن أنه يعرف المطبعة التى تم طبع الرسمين فيها وهى مطبعة صغيرة جدا فى زقاق فى حى الفجالة.

وحتى يكون الأمر واضحا فإننى طلبت إلى النائب العام تولى التحقيق.

بالفعل أرسل النائب العام أحد وكلاء النيابة إلى المطبعة، وأجرى تحقيقا انتهى إلى أن أحد ضباط القسم السياسى فى محافظة القاهرة هو الذى حمل الرسم إلى المطبعة وطبع هذه الوثيقة الزائفة.

وأصبح السؤال الكبير هو: لماذا يريد البوليس السياسى اتهام الحزب الاشتراكى بأنه الذى أحرق القاهرة ؟

إن تاريخ الحزب الاشتراكى مع حزب الوفد لم يكن مجهولا..

فالوفد قام بتعطيل صحيفة الحزب الاشتراكى.

ونتيجة لتقارير البوليس أمرت حكومة الوفد بالقبض على أحمد حسين وعلى عدد كبير من أعضاء الحزب الاشتراكى..

وهرب أحمد حسين ولم يستطع البوليس القبض عليه.

فهل كان أحمد حسين مثلا هو الذى دبر حريق القاهرة؟

هل هم الإخوان ؟

إننى أعلم من سابق خبرتى أن الحزب الاشتراكى لا يستطيع وحده، ولا تسمح امكانياته بالقيام بعمل كبير، وعمل مثل حريق يحتاج إلى تنظيم دقيق وكبير..

والواقع أن أحمد حسين جر إلى نفسه هذا الاتهام لأنه كان ينادى دائما بأنه لا بد من التدمير حتى يتم الإصلاح. وقد وجدت عند مبنى دار الحزب الاشتراكى بواسطة النيابة

أوراقا استند إليها رجال المباحث فى اتهام أحمد حسين، منها لافتات مكتوب عليها (يدير هذا المحل الإنجليز الذين يقتلون إخوانكم بالإسماعيلية) ومنشور بأن سينما مترو يديرها يهودى اسمه جوستان زينك، وأن سينما ريفولى إنجليزية.

كذلك تم العثور على خطاب بالإنجليزية من سكرتير نادى الترف (الترف كلوب) الإنجليزى إلى بكر أحمد عبد الجواد يطلب منه إقامة خيام وفرش سجاجيد بالنادى. وقد أرفق معه عقد اتفاق مكتوبا بالإنجليزية والعربية بين المستر توماس السكرتير وبكر عبد الجواد الذى هو عضو فى الحزب الاشتراكى.

وموضع الغرابة فى هذا الاتفاق أنه تم بين سكرتير نادى الترف الإنجليزى، وقد كان له شأن كبير لأنه كان يمثل نادى كبار الانجليز فى ذلك الوقت، وعضو فى الحزب الاشتراكى، وأن يظل هذا الخطاب والاتفاق مع محفوظات الحزب فى حين أن الحزب يندد بالذين يتعاملون مع الإنجليز!

كما وجد خطاب موجه إلى رئيس الحزب بأن بنك باركليز يعمل كقلم مخابرات للسلطات الإنجليزية.

ومثل هذا القول سبق أن رددته جماعات أخرى كالإخوان المسلمين وتذكرت أن الإخوان المسلمين كانوا قد قاموا قبل حريق القاهرة بإشعال بضع حرائق فى ملاهى الهرم. والغريب أنه لم يقبض على أحد منهم على رغم أن الإخوان أعلنوا أنهم هم الذين قاموا بذلك، فهل كانت حرائق ملاهى الهرم بروفة لحريق القاهرة ؟

ومن الذى قام بحريق القاهرة.

□□□

١ – الملك فـاروق يصدر مرسوما بإقالة النحاس .

٢ – حديقـة جروبـى بعـد حريق القاهرة شـارع عبد الخالق ثروت) .

٣ – فؤاد سراج الدين مع النحاس باشا .

٤ – سينما مصر بعد حريق القاهرة بشارع رمسيس (الملكة نازلى سابقا) .